

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ» ١٠ صفر ١٤٤٣ هـ

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ حَقَّ الْوَطَنِ عَلَى أبنَائِهِ مِنْ أَوْجِبِ الْحُقُوقِ وَآكِدِهَا، وَإِنَّ الْمُشَارَكَةَ فِي بِنَائِهِ وَرُقِيهِ مِنْ أَعْظَمِ الْمُهَمَّاتِ وَأَشْرَفِهَا؛ فَحُبُّ الْوَطَنِ مَغْرُوسٌ فِي النُّفُوسِ الزَّكِيَّةِ، وَالْقُلُوبِ السَّلِيمَةِ، فَمِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ ﷺ أَنْ جَعَلَ مَحَبَّةَ الْأَوْطَانِ فِطْرَةً فِي بَاطِنِ الْإِنْسَانِ، نَبَضَ بِهَا قَلْبُهُ، وَجَرَتْ بِهَا الدَّمَاءُ فِي عُرُوقِهِ، وَتَوَارَثَهَا الْأَبْنَاؤُ عَنِ الْآبَاءِ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، فَالْعَيْشُ يَطِيبُ فِي الْوَطَنِ، وَلَوْ كَانَ الْوَطَنُ كُثْبَانَ رَمْلٍ بِصَحْرَاءٍ، وَإِنْ غَادَرَ الْإِنْسَانُ وَطَنَهُ لِضُرُورَةٍ يَبْقَى الْحَنِينُ إِلَيْهِ سَاكِنًا فِي ذَهْنِهِ وَوُجْدَانِهِ، هَذَا الْحَنِينُ الَّذِي وَجَدَهُ نَبِيْنَا ﷺ يَوْمَ ذَهَبَ مَعَ زَوْجَتِهِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ فِي بَدَايَةِ رِسَالَتِهِ، وَكَانَ وَرَقَةُ عَالِمًا بِالتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، فَسَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَدَايَةِ نُزُولِ الْوَحْيِ، فَقَالَ لَهُ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ: يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْمَعُ لَوْرَقَةَ فِي سُكُونٍ حَتَّى قَالَ لَهُ ذَلِكَ، فَانزَعَجَ النَّبِيُّ ﷺ، وَتَرَاءَى أَمَامَهُ فِرَاقُ مَكَّةَ، وَتَحَرَّكَتْ فِي قَلْبِهِ مَحَبَّةُ الْوَطَنِ، فَقَالَ بِشَدِيدِ الْأَسَى: «أَوْ مُخْرِجِي هُمْ؟»، قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي. وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ وَخَمْسِينَ عَامًا مِنْ عُمُرِهِ ﷺ، وَفِي لَيْلَةِ هِجْرَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَفَ عَلَى مَشَارِفِ مَكَّةَ، وَخَاطَبَهَا بِمَا فِي ذَلِكَ الْقَلْبِ الْكَبِيرِ مِنْ مَحَبَّةٍ وَحَنَانٍ؛ قَائِلًا لَهَا مَا جَاءَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ، وَابْنِ مَاجَةَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ حَمْرَاءِ الزُّهْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَاقِفًا عَلَى الْحَزْوَرَةِ، فَقَالَ: «وَاللَّهِ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ حُبَّ الْوَطَنِ لَيْسَ مُجَرَّدَ كَلِمَاتٍ تُقَالُ، أَوْ شِعَارَاتٍ تُرْفَعُ؛ إِنَّمَا هُوَ سُكُوكُ

وَتَضَحِيَّاتٌ، وَحُقُوقٌ تُؤَدَّى، مِنْ أَعْلَاهَا وَأَشْرَفِهَا: التَّضَحِيَّةُ فِي سَبِيلِ الْوَطَنِ وَحِمَايَتِهِ مِنْ أَيْ خَطَرٍ يَهْدِدُهُ، أَوْ يَقُوضُ بُيَانَهُ، أَوْ يُزَعِزِعُ أَرْكَانَهُ، أَوْ يُرَوِّعُ مُوَاطِنِيهِ، فَحِمَايَةُ الْأَوْطَانِ مِنْ صَمِيمِ مَقَاصِدِ الْأَدْيَانِ، وَهَذَا سَبِيلُ الشُّرَفَاءِ، وَالْعُظَمَاءِ الْأَوْفِيَاءِ، عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَامِرِ الْأَنْصَارِيَِّّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

عِبَادَ اللَّهِ: مَا أَحْوَجَنَا إِلَى تَصَافِرِ جُهُودِ الْمُجْتَمَعِ فِي بِنَاءِ الْوَطَنِ، كُلِّ فِي مَجَالِهِ وَمِيدَانِهِ: الْجُنْدِيُّ وَالشُّرْطِيُّ فِي حِفَاظِهِمَا عَلَى أَمْنِ الْوَطَنِ وَأَمَانِهِ، وَالطَّبِيبُ فِي مَشْفَاهِهِ، وَالْفَلَّاحُ فِي حَقْلِهِ، وَالْعَامِلُ فِي مَصْنَعِهِ، وَالطَّالِبُ بِاجْتِهَادِهِ فِي تَحْصِيلِ الْعِلْمِ، وَهَكَذَا سَائِرُ الصَّنَائِعِ وَالْحِرَفِ وَالْوَاجِبَاتِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ قَوْمًا يَفْتَوُونَ يَنْشُرُونَ الشَّائِعَاتِ، وَيَبْثُونَ الْإِفْتِرَاءَاتِ؛ لِأَجْلِ إِضْعَافِ مَنْزِلَةِ الْوَطَنِ فِي النُّفُوسِ، وَهَدْمِ الشُّعُورِ بِالْإِعْتِرَازِ بِهِ، مُسْتَعْلِينَ فِي ذَلِكَ وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ، فَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا لِهَؤُلَاءِ أَبَوَاقًا، أَوْ تَجْعَلُوا نَوَادِيكُمْ لِبِضَاعَتِهِمْ أَسْوَاقًا، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ خِيَانَةً وَتَضْيِيعًا لِلْأَمَانَةِ؛ فَلَأَمْنٌ وَالْأَمَانُ مَطْلَبٌ تَصْغُرُ دُونَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمَطَالِبِ، وَتَهُونُ لِأَجْلِهِ كَثِيرٌ مِنَ الْمَتَاعِبِ، الْأَمْنُ فِي الْأَوْطَانِ لَا يُشْتَرَى بِالْأَمْوَالِ، وَلَا يُبْتَاعُ بِالْأَثْمَانِ، وَلَا تَفْرِضُهُ الْقُوَّةُ، وَلَا يَدْرِكُهُ الدَّهَاءُ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْهُ وَمِنْحَةٌ مِنَ الْمَلِكِ الدِّيَانِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾. فَبِالْأَمْنِ وَالْأَمَانِ تَعْمُرُ الْمَسَاجِدُ، وَتَصْفُو الْعِبَادَةُ، وَيُنْشَرُ الْخَيْرُ، وَتُحَقَّنُ الدِّمَاءُ، وَتُصَانُ الْأَعْرَاضُ، وَتُحْفَظُ الْأَمْوَالُ، وَتَتَقَدَّمُ الْمُجْتَمَعَاتُ، وَتَتَطَوَّرُ الصَّنَاعَاتُ.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ الْأَمْنَ فِي الْبِلَادِ مَعَ الْعَافِيَةِ وَالرِّزْقِ هُوَ الْمُلْكُ الْحَقِيقِيُّ، وَالسَّعَادَةُ الْمَنْشُودَةُ، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهَ، وَحَسَنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِحْصَنِ الْخَطْمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ

الدُّنْيَا». إِنَّ الْبِلَادَ إِذَا خَلَتْ مِنَ الْأَمْنِ، فَلَا تَسْلُ عَنِ الْهَرَجِ وَالْمَرْجِ، فَإِذَا ضَاعَ الْأَمْنُ حَلَّ الْخَوْفُ وَتَبِعَهُ الْفَقْرُ، وَهُمَا قَرِينَانِ لَا يَنْفَكَانِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾. فَالْأَمْنُ وَالِاسْتِقْرَارُ إِذَا مِنْ أَهَمِّ مَقَوِّمَاتِ الْعَيْشِ وَمَطَالِبِ الْحَيَاةِ، وَالْوَأَقِعُ وَالتَّارِيخُ يُؤَكِّدُ هَذَا كُلَّهُ، فَالْبِلَادُ الْآمِنَةُ يُرْحَلُ إِلَيْهَا، وَتَزْدَهْرُ مَعِيشَتُهَا، وَتَهْنَأُ النُّفُوسُ بِالْمُكْتَفِيَةِ فِيهَا؛ وَلِذَا كَانَ مِنَ النَّعِيمِ الْمُسْتَلَذِّ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْجَنَّةِ نَعِيمُ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾، وَفِي الْمُقَابِلِ حِينَمَا تَخْلُو الدِّيَارُ مِنَ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ، تُصْبِحُ أَرْضًا مُوَحِّشَةً، وَإِنْ كَانَ فِيهَا مَا فِيهَا مِنَ النَّعْمِ وَالْخَيْرَاتِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى الْاجْتِمَاعِ، وَتَوْحِيدِ الصَّفِّ، وَبِنْدِ الْفُرْقَةِ، وَالسَّعْيِ نَحْوَ الْإِصْلَاحِ لِيَتَأَكَّدَ مَعَ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ وَالتَّغْيِيرَاتِ الْمُؤَلِمَةِ، وَمِمَّا يَجِبُ التَّذْكِيرُ: بِهِ الْحَذَرُ وَالتَّحْذِيرُ مِنْ اسْتِشْرَافِ الْفِتَنِ وَإِشْعَالِهَا، وَمِنْ ذَلِكَ:

الدُّخُولُ فِي تَظَاهِرَاتٍ وَاعْتِصَامَاتٍ لَا يُعْلَمُ نَهَائَتُهَا وَمَالُهَا عَلَى الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ، فَدَيْنُنَا يَمْنَعُ مِنْ هَذِهِ التَّظَاهِرَاتِ، وَإِحْدَاثِ الْفَوَاضِي، وَتَدْمِيرِ الْمُمْتَلِكَاتِ، وَتَعْطِيلِ الْمَعَاشِ، وَإِخْلَالِ الْأَمْنِ، وَشَلِّ الْإِقْتِصَادِ، وَتَفْرِيقِ الْكَلِمَةِ، وَتَمْزِيقِ الصَّفِّ، وَتَحْزُبِ النَّاسِ أَحْزَابًا يُدِيقُ بَعْضُهُمْ بِأَسْبَعْ بَعْضٍ.

عِبَادَ اللَّهِ: لَا يَخْفَى أَنَّ غِيَابَ الْمَرْجِعِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ عِنْدَ فِتَامِ مِنَ النَّاسِ، وَإِعْجَابُهُمْ بِرَأْيِهِمْ مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى حُلُولِ الْفَوَاضِي؛ فَيَتَدَخَّلُ الْأَعْدَاءُ.

فَيَا أَيُّهَا الْمُحِبُّ لِبَلَدِهِ وَأَهْلِهِ: احْذَرِ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ أَدَاةَ تَحْرُكِكَ أَيَادٍ تَقْبَعُ فِي أَقْصَى الْأَرْضِ، أَيَادٍ

لَا تَحْمِلْ رِسَالَةَ عِلْمِيَّةٍ وَلَا دَعْوِيَّةً؛ وَإِنَّمَا رِسَالَةُ الْفَوْضَى وَالنِّكَايَةِ وَالتَّشْفِي، نَرْبَأُ بِكَ أَيُّهَا الْمُحِبُّ لِبَلَدِهِ  
وَأَهْلِهِ: أَنْ تَكُونَ شَرَارَةَ إِشْعَالِ الْفِتَنِ عَلَى مُجْتَمَعِكَ وَأَهْلِكَ وَبَيْتِكَ.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ مِنْ حَقِّ الْبِلَادِ عَلَى أَهْلِهَا: أَنْ يَحْذَرُوا الْخِيَانَةَ لِبِلَادِهِمْ وَوَلَاتِيهِمْ وَمُجْتَمَعِيهِمْ.

وَمِنْ حَقِّ الْبِلَادِ عَلَى أَهْلِهَا: التَّعَاوُنُ مَعَ مَنْ وِلَاةُ اللَّهِ أَمَرْنَا فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، وَأَنْ نَعْلَمَ أَنَّ طَاعَتَهُمْ  
فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَاجِبٌ شَرْعِيٌّ، وَأَنْ نُعْطِيَهُمُ الْبَيْعَةَ، وَأَنْ يَكُونَ الْجَمِيعُ مُجَنِّدِينَ لِحِمَايَةِ الْبِلَادِ مِنْ  
كُلِّ مُخَطَّطٍ يَهْدَفُ لِلْإِضْرَارِ بِهَا وَالْإِفْسَادِ فِيهَا، وَأَنْ يَحْرِصُوا عَلَى نَمَاءِ اقْتِصَادِهَا وَرُقِيِّهَا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ التَّزْهِيدَ فِي الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ شَابَتْ رُؤُوسُهُمْ فِي الْعِلْمِ مَرْتَعٌ وَخَيْمٌ؛ بِهِ تُسْتَجَلَبُ  
الْفِتْنُ وَالْمِحْنُ، ذَكَرَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «السِّيَرِ» فِي تَرْجَمَةِ الْإِمَامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ:  
مَنْ اسْتَخَفَّ بِالْعُلَمَاءِ ذَهَبَتْ آخِرَتُهُ، وَمَنْ اسْتَخَفَّ بِالْأَمْرَاءِ ذَهَبَتْ دُنْيَاهُ، وَمَنْ اسْتَخَفَّ بِالْإِخْوَانِ  
ذَهَبَتْ مَرْوَةٌ.

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَرْتِيبِ الْمَدَارِكِ»: قَالَ أَبُو سِنَانٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِذَا كَانَ طَالِبُ الْعِلْمِ لَا يَتَعَلَّمُ،  
أَوْ قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمَ مَسْأَلَةً فِي الدِّينِ يَتَعَلَّمُ الْوَقِيعَةَ فِي النَّاسِ، مَتَى يُفْلِحُ؟!

وَلَكِنْ انْتَبَهُوا عِبَادَ اللَّهِ، فَالْعَالِمُ بِحَقِّ هُوَ مَنْ وَصَفَهُ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ كَمَا فِي «مِفْتَاحِ دَارِ  
السَّعَادَةِ»: الرَّاسِخُ فِي الْعِلْمِ لَوْ وَرَدَتْ عَلَيْهِ مِنَ الشُّبُهَةِ بَعْدَ أَمْوَاجِ الْبَحْرِ مَا أَزَالَتْ يَقِينَهُ، وَلَا قَدَحَتْ  
فِيهِ شَكًّا؛ لِأَنَّهُ قَدْ رَسَخَ فِي الْعِلْمِ، فَلَا تَسْتَفِزُّهُ الشُّبُهَاتُ، بَلْ إِذَا وَرَدَتْ عَلَيْهِ رَدَّهَا حَرَسُ الْعِلْمِ وَجَيْشُهُ  
مَغْلُوبَةٌ مَغْلُوبَةٌ. اهـ

وَلَيْسَ الْعَالِمُ الَّذِي يَتَلَوَّنُ فِي دِينِ اللَّهِ عَلَى حَسَبِ مَصْلَحَتِهِ وَهَوَاهُ.